Ethical Principles of Human Individual's Perfection in Mohammad Bakir Alsader

الأسس الأخلاقية لتكامل الفرد في فلسفة الشهيد محمد باقر الصدر
(دراسة تحليلية للبحث الأخلاقي في كتاب الفتاوى الواضحة)

م.د. حيدر عبد الزهرة رحيم
جامعة الكوفة/كلية الآداب/قسم الفلسفة

الخلاصة :

من المعلوم أنّ كتاب الفتاوى الواضحة هو الرسالة العملية للسيد الشهيد محمد باقر الصدر، ومنه جزء خاص بقسم العبادات، وفي نهاية قسم العبادات كتب الشهيد الصدر بحثاً أخلاقيًا غاية في الروعة، ومن هنا كانت إشكالية البحث، إذ عرضنا هذا التساؤل: ما هي الملازمة بين العبادات وهذا البحث الأخلاقي؟ فالشهيد الصدر هو في معرض بحث تشريعي عبادي، فما هو مبتغاه من وراء اختتام هذا البحث العبادي ببحث أخلاقي؟ ولحل هذه الإشكالية عرضنا فرضية محاولين إثباتها في البحث، وهي: إنّ الشهيد الصدر يرى وجود تكاملات أخلاقية للفرد، هذه التكاملات الأخلاقية لا يمكن للفرد تحقيقها إلاّ بتكاملات عبادية، فالجانب العبادي لدى الفرد هو الذي يشبع الجانب الأخلاقي لديه.

Abstract

It is understood that the book (Fataw Al-Wdhiha) represents the Islamic laws of cleric Martyr Mohammad Baqir al-Sader, and part of it is a special section at the end of worship, discussed the moral magnificent, here the problem of the study is invoked. We put this question: what are the inherent connections between worship and this ethical research? The martyr al-Sadr is considering legislative worshiping, so what is the goal behind this search moral aspect? To resolve this problem, trying to prove our hypothesis in search: the martyr Sadr felt there are moral individual integrations, these integrals moral individual can achieve only integrals of worship, and to the individual aspect is that full moral aspect.

المقدمة

من المعلوم أنّ كتاب الفتاوى الواضحة هو الرسالة العملية للسيد الشهيد محمد باقر الصدر (ت 1980م) (رضوان الله عليه)، ومنه جزء خاص بقسم العبادات، إذ عرض فيه مسائل الاجتهاد والتقليد، والوضوء، والصلاة، والحج، وغيرها من مسائل هذا القسم التي تنضم علاقة العبد بربه، علاقة الفرد بخالقه، علاقة المكلف بسيده، أما الجزء الثاني الخاص بمسائل المعاملات، فلم يتسنَّ للشيد الصدر إنجازه.

وفي نهاية قسم العبادات كتب الشهيد الصدر بحثاً أخلاقيًا غاية في الروعة، ومن هنا كانت إشكالية البحث، إذ عرضنا هذا التساؤل: ما هي الملازمة بين العبادات وهذا البحث الأخلاقي؟ فالشهيد الصدر هو في معرض بحث تشريعي عبادي، فما هو مبتغاه من وراء اختتام هذا البحث العبادي ببحث أخلاقي؟ ولحل هذه الإشكالية عرضنا فرضية محاولين إثباتها في البحث، وهي: إنّ الشهيد الصدر يرى وجود تكاملات أخلاقية للفرد، هذه التكاملات الأخلاقية لا يمكن للفرد تحقيقها إلاّ بتكاملات عبادية، فالجانب العبادي لدى الفرد هو الذي يشبع الجانب الأخلاقي لديه.

وقد اقتضت صورة البحث أن يقسم على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، فأما المبحث الأول فدرسنا فيه احتياج الفرد إلى الارتباط بالمطلق، إذ يرى الشهيد الصدر أنّ إشكالية الارتباط بالمطلق إشكالية ذات حدين يعاني منهما الإنسان في تحركه عبر التأريخ، الحد الأول هو الجانب السلبي، وهو مشكلة الضياع التي عبرت عنها الشريعة بالإلحاد بوصفه المثل الواضح لها، والحد الثاني هو الجانب الإيجابي وهو مشكلة الغلو التي عبرت عنها الشريعة بالشرك بوصفه المثل الواضح لها، وقد قدمت الشريعة الحل لهذه المشكلة بكلا حديها، وهو الإيمان بالله (تعالى) الذي عبرت عنه بالتوحيد بوصفه المثل الواضح له، والعبادات هي التي تقوم بدور تعميق هذا الارتباط بالمطلق الحقيقي، فهي تعبير عملي وتطبيقي للإيمان بالله وتوحيده، وبالعبادات ينمو هذا الارتباط بالمطلق ويترسخ في حياة الإنسان.

وأما المبحث الثاني، فدرسنا فيه الموضوعية في القصد وتجاوز الذات، إذ يقسم الشهيد الصدر المصالح على قسمين، الأول هو مصالح تعود مكاسبها إلى الفرد نفسه الذي يقوم بالعمل المنتج لهذه المصالح، وتتحقق هذه المصالح بالدافع الذاتي والقصد الذاتي، والثاني هو مصالح تعود مكاسبها إلى غير العامل المباشر، أو تعود إلى الجماعة التي ينتسب إليها هذا العامل، وتتحقق هذه المصالح بالدافع الموضوعي والقصد الموضوعي، ومن هنا كان الفرد محتاجاً إلى تربية على الموضوعية في القصد وتجاوز للذات

في الدوافع، والعبادات تقوم بدور كبير في هذه التربية الضرورية، لأنها أعمال يقوم بها الإنسان في سبيل الله (سبحانه)، ولا تصح إذا أداها العابد من أجل مصلحة من مصالحه الخاصة، وسبيل الله هو التعبير التجريدي عن السبيل لخدمة الإنسان، فكل عمل في سبيل الله تعالى هو في سبيل عباد الله، لأنّ الله (تعالى) هو الغني عن عباده، وقد عبر القرآن الكريم عن وحدة السبيل، سبيل الله وسبيل الإنسان بقوله تعالى: ((وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان))[1].

في حين درسنا في المبحث الثالث الشعور الداخلي للفرد بتحمل المسؤولية، إذ ذكر الشهيد الصدر أنّ الإنسانية تتبع نظامًا معينًا في حياتها، وطريقة محددة في توزيع الحقوق والواجبات بين الناس، وهي بمقدار ما يتوفر لديها من ضمانات لالتزام الأفراد بهذا النظام وتطبيقه تكون أقرب إلى الاستقرار وتحقيق الأهداف العامة المتوخاة من ذلك النظام، وقد قسم الشهيد الصدر الضمانات على قسمين، الأول هو الضمانات الموضوعية، كالعقوبات التي تضعها الجماعة تأديباً للفرد الذي يتجاوز حدوده، والثاني هو الضمانات الذاتية، وهو الشعور الداخلي للفرد بالمسؤولية تجاه التزاماته الاجتماعية وما تفرضه الجماعة عليه من واجبات وتحدد له من حقوق، وعلى الرغم من أنّ الضمانات الموضوعية لها دور كبير في السيطرة على سلوك الأفراد وضبطه، فإنها لا تكفي في أحايين كثيرة بمفرده ما لم يكون إلى جانبها ضمان ذاتي ينبثق عن الشعور الداخلي للفرد بتحمل المسؤولية، لأنّ الرقابة الموضوعية للفرد مهما كانت دقيقة وشاملة لا يمكن عادة أن تضمن الإحاطة بكل شيء واستيعاب كل واقعة، والشعور الداخلي بالمسؤولية يحتاج إلى إيمان برقابة لا يعزب عن علمها مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وإلى مران عملي ينمو من خلاله هذا الشعور ويترسخ بموجبه الإحساس بتلك الرقابة الشاملة، وهذا المران العملي يتحقق عن طريق الممارسات العبادية، لأنّ العبادة واجب غيبي، فلا يمكن ضبطها بالمراقبة من الخارج، لأنها قائمة بالقصد النفسي والربط الروحي للعمل بالله (سبحانه).

وأما الخاتمة، فتضمنت أهم نتائج البحث، فضلاً عن التوصية، والحمد لله ربِّ العالمين.

المبحث الأول

الارتباط بالمطلق عند الشهيد الصدر

إنّ الارتباط بالمطلق يعني تواصل الإنسان مع ربه، سواء أكان الرب مطلقاً حقيقيّاً أو مطلقًا مزيفًا، والباحث يدرس في هذا الموضوع ارتباط الإنسان بالمطلق على اعتبار أنّ الارتباط بالمطلق هو الأساس الأخلاقي الأول من أسس تكامل الإنسان، ولم يدرس الارتباط المطلق بالله، لأنّ هذا موضوع آخر، موضوع تقييمي لارتباط الإنسان بربه، وهو خارج عن هذا البحث، إذ يرى (الشهيد الصدر) أنّ العلاقة بين الإنسان وربه مظهر عملي، ونظام العبادات طريقة في تنظيم المظهر العملي لعلاقة الإنسان بربه، وعليه لا ينفصل حينما يقوَّم عن تقويم هذه العلاقة بالذات وأثرها في حياة الإنسان[2].

وهذا الارتباط بالمطلق يكون على وفق نظام عبادي محدَّد، وطبيعة هذا النظام تحدِّد لنا طبيعة الارتباط بالمطلق، إذ يكون المطلق هو الموجه لحياة الإنسان على وفق العبادات[3].

ويرى الباحث أنّ (الشهيد الصدر) ذكر ترابطاً بين سؤالين مهمين على أساس أنّ العبادة هي التي تقوي رابطة الإنسان بربه، فالسؤال الأول هو ما هي القيمة التي تحققها علاقة الإنسان بربه لهذا الإنسان المرتبط بربه؟ وهل هي قيمة ثابتة تعالِج حاجة ثابتة، أو قيمة مرحلية ترتبط بحاجات مؤقتة وتفقد أهميتها بانتهاء المرحلة التي تحدِّد تلك الحاجات والمشاكل؟ في حين أنّ السؤال الثاني هو ما الوظيفة التي تمارسها العبادات بالنسبة إلى تلك العلاقة ومدى أهميتها بوصفها تكريساً عملياً لعلاقة الإنسان بالله[4]؟

وبهذا تكون العبادات هي السبب الحقيقي لتحقق القيم الناتجة عن الارتباط بين الإنسان وربه، فإذ تحقّق العلاقة القيم، فإنّ العبادات هي التي تحقّق العلاقة عمليًا[5].

ويذهب الباحث إلى أنّ (الشهيد الصدر) ينظر إلى مسألة الارتباط بالمطلق على أنها مشكلة ذات حدين، إذ ((يجد الملاحِظ- وهو يفتش الأدوار المختلفة لقصة الحضارة على مسرح التأريخ- أنّ المشاكل متنوعة، والهموم متباينة في صيغتها المطروحة في الحياة اليومية، ولكننا إذا تجاوزنا هذه الصيغ ونفذنا إلى عمق المشكلة جوهرها استطعنا- من خلال كثير من تلك الصيغ اليومية المتنوعة- على مشكلة رئيسية ثابتة ذات حدين أو قطبين متقابلين يعاني الإنسان منها في تحركه الحضاري على مر التأريخ، وهي من زاوية تعبر عن مشكلة الضياع واللا انتماء، وهذا يمثل الجانب السلبي من المشكلة، ومن زاوية أخرى تعبر عن مشكلة الغلو في الانتماء والانتساب بتحويل الحقائق النسبية التي ينتمي إليها إلى المطلق، وهذا يمثل الجانب الإيجابي من المشكلة))[6].

وهذا يعني أنّ المطلق موجود لكن الاتجاهات نحوه مختلفة، فجانب التفريط بالارتباط بالمطلق يرفض أي ارتباط به، في حين أنّ جانب الإفراط بالارتباط بالمطلق يجعل حتى النسبي مطلقاً[7].

وحدَّد (الشهيد الصدر) موقف الإسلام من كلا الجانبين، إذ ((أطلقت الشريعة الخاتمة على المشكلة الأولى اسم (الإلحاد) باعتباره المثل الواضح لها، وعلى المشكلة الثانية اسم (الوثنية والشرك) باعتباره المثل الواضح لها أيضاً، ونضال الإسلام المستمر ضد الإلحاد والشرك هو في حقيقته الحضارية نضال ضد المشكلتين بكامل بعديهما التاريخيين))[8].

فجانب التفريط والإفراط تجاه المطلق مرفوض في الإسلام، وتشهد على ذلك ما قام به المسلمون من معارك على مدى الصراع بين الإسلام والإلحاد والشرك[9].

ويذهب الباحث إلى أنّ (الشهيد الصدر) أوجد نقطة التقاء بين هاتين المشكلتين مع اختلافهما، فهما تلتقيان في إعاقة حركة الإنسان في تطوره عن الاستمرار الخلاق المبدع الصالح، لأنّ الضياع يعني بالنسبة إلى الإنسان أنّه صيرورة مستمرة تائهة لا تنتمي إلى مطلق يسند إليه الإنسان نفسه في مسيرته ، ويستمد من إطلاقه وشموله العون والرؤية الواضحة للغاية، ويربط المطلق حركته بالكون، ويحدِّد موقعه منه، وعلاقته بالإطار الكوني الشامل، فالتحرك الضائع من دون مطلق تحرك عشوائي، وما من إبداع وعطاء في مسيرة الإنسان الكبرى على مر التأريخ إلاّ وهو مرتبط بالاستناد إلى المطلق والالتحام معه[10].

فإسهام الإنسان بحركة التأريخ يعتمد على وجود المطلق وارتباط الإنسان بهذا المطلق، ويُعَدّ المطلق الدليل الذي يهدي الإنسان إلى بلوغ الغاية من وظيفة الإنسان، ولولا وجود المطلق وارتباط الإنسان به لأصبح مسير الإنسان مسيراً عشوائياً لا غاية له[11].

ونبّه (الشهيد الصدر) إلى أنّ الارتباط بالمطلق يواجه الجانب الايجابي من مشكلة الارتباط، فإنّ ((هذا الارتباط نفسه يواجه من ناحية أخرى الجانب الآخر من المشكلة، أي مشكلة الغلو في الانتماء بتحويل النسبي إلى مطلق وهي مشكلة تواجه الإنسان باستمرار، إذ ينسج ولاءه لقضية لكي يمده هذا الولاء بالقدرة على الحركة ومواصلة السير، إلاّ أنّ هذا الولاء يتجمد بالتدريج ويتجرد عن ظروفه النسبية التي كان صحيحاً ضمنها، وينتزع الذهن البشري منه مطلقاً لا حدّ له للاستجابة إلى مطالبه، وبالتعبير الديني يتحول إلى إله يُعبد بدلاً عن حاجة يستجاب لإشباعها. وحينما يتحول النسبي إلى مطلق يصبح سبباً في تطويق حركة الإنسان وتجميد قدراتها على التطور والإبداع، وإيقاد الإنسان عن ممارسة دوره الطبيعي المفتوح في المسيرة))[12].

فإذا كان المطلق هو سبب التطور والإبداع، فإنّ الارتباط بالنسبي وجعله كالمطلق أو مطلقاً هو سبب تقوقع الإنسان وانحساره على الحاضر[13].

ويقرر الباحث أنّ (الشهيد الصدر) يعمم هذه الحقيقة، فهي تنطبق على جميع الآلهة التي صنعها الإنسان، ((سواء ما كان منها قد صنعه في المرحلة الوثنية من العبادة، أو في المراحل التالية، فمن القبيلة إلى العلم نجد سلسلة من الآلهة التي أعاقت الإنسان، بتأليهها والتعامل معها كمطلق، عن التقدم الصالح. نعم، من القبيلة التي كان الإنسان البدوي يمنحها ولاءه باعتبارها حاجة واقعية بحكم ظروف حياته الخاصة، ثم غلا في ذلك، فتحولت لديه إلى مطلق لا يبصر شيئاً إلاّ من خلالها، وأصبحت بذلك معيقة له عن التقدم))[14].

فكل مطلق يعيق ديناميكية الإنسان وتقدمه هو في الحقيقة ليس مطلقاً واقعياً، بل هو نسبي حوَّله الإنسان بسبب طاعته المبالغ فيها له إلى مطلق لا يعصى، وهذه قاعة ثابتة لجميع الناس وليست متفاوتة بينهم، ويمكن التمييز بين المطلق الحقيقي واقعًاً والمطلق المزيف أو النسبي عن طريق متابعة مواكبة هذا المطلق لمسيرة الإنسان وتطلعاته، فكل مطلق يتخلى عن الإنسان في مرحلة من مراحل تطلعاته ومسيرته، هو مطلق مزيف أو هو نسبي صيّره الإنسان إلى مطلق، في حين أنّ المطلق، الذي يواكب مسيرة الإنسان الطويلة ولا يتخلى عنه في لحظة من لحظات هذه المسيرة، هو المطلق الحقيقي الواقعي[15].

وكمثال عن المطلقات المزيفة، يرى الباحث أنّ أغلب الحركات السياسية سواء أكانت مدنية أو دينية، ترفع شعاراً معيناً، فإنّها تتفانى في سبيل تحقيق هذا الشعار، وبالفعل يحقق هذا الشعار لها كثيراً من النجاحات على أغلب المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لكن حين تتغير الظروف والعوامل التي خلصت إلى إنجاح هذا الشعار لابد من أن يتغير هذا الشعار على وفق حاجة المجتمع وضرورة المرحلة الراهنة أو السابقة، لأنّ البقاء على هذا الشعار والتمسك به مع تغير ظروف نجاحه يعني أننا جعلنا هذا الشعار بمثابة المطلق، في حين أنّه نسبي يرتبط بمرحلة أو ظروف معينة، وهذا هو السبب الحقيقي في فشل هذا الشعار، والدليل على هذا هو أنّ هذه الحركات تبدأ بالانحراف عن مساراتها التي خططتها في بداية تحركها، ومن ثم الاضمحلال والاختفاء عن مسرح الحركة السياسية.

وإذا أردنا أن نتمسك بهذا الشعار ولا نتخلى عنه، فلا بد من أن نخلق ظروفاً تساعد على البقاء على إنجاح هذا الشعار، وبهذا نكون قد اعترفنا بنسبية الشعار وظروفه التي أنجحته ولم نحوّله إلى مطلق يعيق حركة التقدم التي نصبوا بها إلى تحقيق الغايات السامية.

وعلى هذا الأساس يرى (الشهيد الصدر) أنّ كل ((محدود ونسبي إذا نسج الإنسان منه في مرحلة ما مطلقاً يرتبط به على هذا الأساس يصبح في مرحلة رشد ذهني جديد قيداً على الذهن الذي صنعه بحكم كونه محدوداً ونسبياً، فلا بد للمسيرة الإنسانية من مطلق، ولا بد أن يكون مطلقاً حقيقياً يستطيع أن يستوعب المسيرة الإنسانية ويهديها سواء السبيل مهما تقدمت وامتدت على خطها الطويل، ويمحو من طريقها كل الآلهة الذين يطوقون المسيرة ويعيقونها، وبهذا تعالج المشكلة بقطبيها معاً))[16].

والإنسان يكتشف أنّ المطلق الذي يسير على وفقه ليس حقيقياً حين يشعر أنّ هذا المطلق أصبح قيداً وعائقاً له عن التقدم، فأساس الفشل هو جعل النسبي مطلقاً[17].

ويرى الباحث أنّ (الشهيد الصدر) وضح العلاج لمشكلة الارتباط بالمطلق، لأنّ المطلق الحقيقي الذي لا بد من المسير على وفق تعليماته يتحدَّد في ضوء الطريق الذي ((يتمثل في ما قدمته السماء إلى الأرض من عقيدة (الإيمان بالله) بوصفه المطلق الذي لا يمكن أن يربط الإنسان المحدود مسيرته به، دون أن يُسبِّب له أي تناقض على الطريق الطويل، فالإيمان بالله يعالج الجانب السلبي من المشكلة، ويرفض الضياع والإلحاد واللا انتماء، إذ يضع الإنسان في موضع المسؤولية، وينيط بحركته وتدبيره الكون، ويجعله خليفة الله في الأرض، والخلافة تستبطن المسؤولية، والمسؤولية تضع الإنسان بين قطبين: بين مستخلف يكون الإنسان مسئولاً أمامه، وجزاء يتلقاه تبعاً لتصرفه، بين الله والمعاد، بين الأزل والأبد، وهو يتحرك في هذا المسار تحركاً مسئولاً هادفًاً، والإيمان بالله يعالج الجانب الإيجابي من المشكلة، مشكلة الغلو في الانتماء التي تفرض التحدد على الإنسان وتشكل عائقاً عن اطراد مسيرته))[18].

والذي يُنصِّب الإنسان مسئولاً عن إعمار الأرض إنما هو المطلق الحقيقي الذي يدخر جزءاً من الثواب للإنسان الخليفة في الآخرة، وهذا التنصيب ناتج عن الإيمان بحاكمية هذا المطلق الحقيقي، وبهذه الطريقة يحفظ الإنسان من الضياع والمسير خلف الأوهام، كما أنّ الاعتقاد بحاكمية المطلق الحقيقي يعني عدم إتباع أي مطلق مزيف[19].

وبيَّن (الشهيد الصدر) النقطتين اللتين يتم بهما معالجة الإيمان بالله (تعالى) للجانب السلبي من المشكلة، وهما:-

1- ((إنّ هذا الجانب من المشكلة كان ينشأ من تحويل المحدود والنسبي إلى مطلق خلال عملية تصعيد ذهني، وتجريد للنسبي من ظروفه وحدوده، وأما المطلق الذي يقدمه الإيمان بالله للإنسان فهو لم يكن من نسيج مرحلة من مراحل الذهن الإنساني ليصبح في مرحلة رشد ذهني جديد قيداً على الذهن الذي صنعه، ولم يكن وليد حاجة محدودة لفرد أو لفئة ليتحول بانتصابه مطلقاً إلى سلاح بيد الفرد أو الفئة لضمان استمرار مصالحها غير المشروعة، فالله (سبحانه وتعالى) مطلق لا حدود له، ويستوعب بصفاته الثبوتية كل المثل العليا للإنسان الخليفة على الأرض: من إدراك، وعلم، وقدرة، وقوة، وعدل، وغنى))[20].

والله (تعالى) ليس نسبياً تحوَّل إلى مطلق على يد فردٍ أو مجموعة من الأفراد التي تريد استمرار مصالحها بتسخير المطلق المزيف على وفق رغباتها، بل أنّ الصفات الموجودة في الله (تعالى) تدل على أنّه مطلق حقيقي وليس مزيفاً، بل أنّه يغني الإنسان عن اللجوء إلى النسبي ليحوِّله إلى مطلق[21].

وعليه يذهب الباحث إلى أنّ الطريق إلى الله (تعالى)، الطريق إلى المطلق الحقيقي غير المزيف هو طريق يحتاج إلى متابعة المسير، مسير النسبي باستمرار وتدرج نحو الله (تعالى) من دون أي توقف، والمسير نحو المطلق يعطي لتحرك الإنسان ((مُثله العليا المنتزعة من الإدراك والعلم والقدرة وغيرها من صفات ذلك المطلق الذي تكدح المسيرة نحوه، فالسير نحو مطلق كله علم، وكله قدرة، وكله عدل، وكله غنى، يعني أن تكون المسيرة الإنسانية كفاحاً متواصلاً باستمرار ضد كل جهل وعجز وظلم وفقر، وما دامت هذه هي أهداف المسيرة المرتبطة بهذا المطلق فهي إذن ليست تكريساً للإله، وإنما هي جهاد مستمر من أجل الإنسان وكرامة الإنسان وتحقيق تلك المُثل العليا له))[22].

والفارق بين المطلق والنسبي واضح جداً، فالمسير نحو المطلق يحقّق المصالح التي تخدم الإنسان في سائر تكاملاته العلمية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية وغيرها من التكاملات، في حين أننا نجد المسير نحو النسبي هو في الواقع تراجعاً للخلف وتخلفاً، أي يتم تسخير النسبي بوصفه مطلقاً مزيفاً في خدمة فئة معينة تتعارض مصالحها مع مصالح الإنسانية[23].

ويرى (الشهيد الصدر) أنّ المطلقات المزيفة على العكس من الغايات التي يحققها الارتباط بالمطلق الحقيقي، ((فإنّها لا يمكن أن تستوعب المسيرة بكل تطلعاتها، لأنّ هذه المطلقات المصطنعة وليدة ذهن الإنسان العاجز، أو حاجة الإنسان الفقير، أو ظلم الإنسان الظالم، فهي مرتبطة عضوياً بالجهل والعجز والظلم، ولا يمكن أن تبارك كفاح الإنسان المستمر ضدها))[24].

فإذا كان المطلق الحقيقي مرتبطاً بالعلم والقدرة والعدل فإنّ المطلقات الوهمية ترتبط بعكس ذلك من جهل وعجز وظلم، فهي نتاج هذه الصفات التي تصبح عائقاً مع مرور الوقت عن التقدم نحو التكاملات التي تسعى نحوها الإنسانية بكفاحها المتواصل لتحقيق السعادة المنشودة[25].

2- ((إنّ الارتباط بالله (تعالى) بوصفه المطلق الذي يستوعب المسيرة الإنسانية كلها يعني في الوقت نفسه رفض كل تلك المطلقات الوهمية، التي كانت تشكل ظاهرة الغلو في الانتماء، وخوض حرب مستمرة ونضال دائم ضد ألوان الوثنية والتأليه المصطنع، وبهذا يتحرر الإنسان من سراب تلك المطلقات الكاذبة التي تقف حاجزاً دون سيره نحو الله، وتزوِّر هدفه وتطوق مسيرته))[26].

والشريعة الإسلامية ترفض الغلو في الارتباط بالمطلق الذي هو في حقيقته ارتباط بنسبي نصَّبه الإنسان مطلقاً، ورفض الشريعة هذا يعني رفض أسباب التخلف والتقوقع والانحسار المتمثلة بالارتباط بالمطلقات المصطنعة[27].

ويرى الباحث أنّ (الشهيد الصدر) التفت إلى أهمية الشعار الذي يحقق الارتباط بالمطلق، فالشعار الذي رفعته شريعة السماء، الذي جسدت فيه الارتباط بالمطلق الحقيقي ورفض كل أنواع الارتباط بالمطلقات الوهمية، ((ونحن إذا لاحظنا الشعار الحقيقي الذي طرحته السماء بهذا الصدد: (لا إله إلاّ الله)، نجد أنّها قرنت فيه بين شد المسيرة الإنسانية إلى المطلق الحق ورفض كل مطلق مصطنع. وجاء تأريخ المسيرة في واقع الحياة على مر الزمن ليؤكد الارتباط العضوي بين هذا الرفض وذلك الشد الوثيق الواعي إلى الله (تعالى)، فبقدر ما يبتعد الإنسان عن الإله الحق ينغمس في متاهات الآلهة والأرباب المتفرقين، فالرفض والإثبات المندمجان في (لا إله إلاّ الله) هما وجهان لحقيقة واحدة، وهي حقيقة لا تستغني عنهما المسيرة الإنسانية على مدى خطها الطويل، لأنّها الحقيقة الجديرة بأن تنقذ المسيرة من الضياع، وتساعد على تفجير كل طاقاتها المبدعة، وتحررها من كل مطلق كاذب معيق))[28].

ولا يتسنى لأي إنسان مهما سلك من مسالك أن يجمع بين الارتباط بالمطلق الحقيقي والارتباط بالمطلقات المزيفة، لأنّه يستطيع الاستمرار في التوفيق بين من يجره إلى التكاملات بأنواعها المختلفة ومن يجعله يراوح في مكانه أو يجره إلى انحطاطات في الأخلاق والسياسية والاقتصاد والثقافة وغيرها، والصفات التي يدعو إليها المطلق الحقيقي هي صفات تجعل الإنسان في مسير دؤوب نحو التكاملات غير المنقطعة، في حين أنّ الصفات التي يدعو إليها المصطنع من المطلقات هي في الواقع تخلص في مرحلة معينة إلى تقييد الإنسان ومنعه عن مواصلة مسيرة التكاملي نحو السعادة[29].

ويرى الباحث أنّ (الشهيد الصدر) أعطى وظيفة مهمة للعبادات في تكامل الإنسان، لأنّ العبادات هي التعبير العملي عن الارتباط بالمطلق، فالإنسان كما وُلد ((وهو يحمل كل إمكانات التجربة على مسرح الحياة وكل بذور نجاحها من رشد وفاعلية وتكيف كذلك وُلد مشدوداً بطبيعته إلى المطلق، لأنّ علاقته بالمطلق أحد مقومات نجاحه وتغلبه على مشكلة في مسيرته الحضارية كما رأينا، ولا توجد تجربة أكثر امتداداً وأرحب شمولاً وأوسع مغزى من تجربة الإيمان في حياة الإنسان، الذي كان ظاهرة ملازمة للإنسان منذ أبعد العصور وفي كل مراحل التأريخ، فإنّ هذا التلازم الاجتماعي المستمر يبرهن- تجريبياً- على أنّ النزوع إلى المطلق والتطلع إليه وراء الحدود التي يعيشها الإنسان اتجاه أصيل في الإنسان مهما اختلفت أشكال هذا النزوع وتنوعت طرائقه ودرجات وعيه))[30].

وحين يؤمن الإنسان بوجود مطلق حقيقي أو مطلقات وهمية يدل إيمانه هذا على أصالة تطلع الإنسان إلى الارتباط بالمطلق، ومهما بلغ الإنسان من وعي وكمال فإنّه يبقى محتاجاً إلى الارتباط بالمطلق الذي يوجهه نحو الحل الأمثل في حال مواجهة المشكلات المستعصية عليه[31].

ويذهب الباحث إلى أنّ (الشهيد الصدر) أوجد ما يكلل نجاح الاعتقاد بالمطلق، وهو العمل، لأنّ الارتباط بالمطلق يحتاج إلى عمل فلا يكفي له الاعتقاد فحسْب، لأنّ ((الإيمان كغريزة لا يكفي ضماناً لتحقيق الارتباط بالمطلق بصيغته الصالحة، لأنّ ذلك يرتبط- في الحقيقة- بطريقة إشباع هذه الغريزة وأسلوب الاستفادة منها، كما هي الحال في كل غريزة أخرى، فإنّ التصرف السليم في إشباعها على نحو مواز لسائر الغرائز والميول الأخرى ومنسجم معها هو الذي يكفل المصلحة النهائية للإنسان، كما أنّ السلوك وفقاً لغريزة أو ضدها هو الذي ينمي تلك الغريزة ويعمقها أو يضمرها ويخنقها، فبذور الرحمة والشفقة تموت في نفس الإنسان من خلال سلوك سلبي، وتنمو في نفسه من خلال التعاطف العملي المستمر مع البائسين والمظلومين والفقراء))[32].

والتفاوت في التوحيد والاخلاص يمكن تحديده بتحديد درجة توافق سلوك العبد مع الشريعة، فكلما كان التوافق كبيرًا، كانت مرتبة التوحيد والاخلاص فيها كبيرة، وأي سلوك من قبل الإنسان يتعارض مع الإيمان بالله (تعالى) فإنّه يخلص إلى إضعاف غريزة الإيمان هذه، وفي النهاية يخلص إلى إضعاف الارتباط به سبحانه، في حين أنّ المسير على وفق إرادة شريعة السماء يخلص إلى تعزيز هذا الإيمان مما يخلص إلى الارتباط المتجذر بالمطلق، وهذا الارتباط يحتاج إلى سلوك دائم لتقوية العلاقة بين النسبي، الذي يحتاج إلى التكاملات، والمطلق الذي يمنح هذه التكاملات إلى النسبي الفقير[33].

والدين هو الموجه للسلوك الصحيح الذي يعزز الرابطة بين النسبي والمطلق، إذ لا يمكن الاستغناء عن هذا الموجه، ومن ((هنا لا بد للإيمان بالله والشعور العميق بالتطلع نحو الغيب والانشداد إلى المطلق لا بد لذلك من توجيه يحدد طريقة إشباع هذا الشعور، ومن سلوك يعمقه ويرسخه على نحو يتناسب مع سائر المشاعر الأصلية في الإنسان، وبدون توجيه قد ينتكس هذا الشعور ويمنى بألوان الانحراف، كما وقع بالنسبة إلى الشعور الديني غير الموجه في أكثر مراحل التأريخ، وبدون سلوك معمق قد يضمر هذا الشعور، ولا يعود الارتباط بالمطلق حقيقة فاعلة في حياة الإنسان، وقادرة على تفجير طاقاته الصالحة، والدين الذي طرح شعار (لا إله إلاّ الله)، ودمج فيه بين الرفض والإثبات معاً هو الموجه))[34].

ويرى الباحث أهمية مصدر الدين ي حل هذه المشكلة، لأنّ الدين الذي يوجه الإنسان نحو الارتباط الدائم بالمطلق لابد من أن يكون صادراً من المطلق نفسه، لأنّه إن لم يكن صادراً من المطلق ستكون النتائج هي عدم الارتباط بالمطلق، إذ أنّ دين غير المطلق من المؤكد يدعو للارتباط بغير المطلق[35].

ويرى الباحث أنّ (الشهيد الصدر) حين يتحدث عن العبادات ووظيفتها في الارتباط بالمطلق، فإنه يستبطن الحديث عن الاخلاص في العبادات، فالعبادات وحدها غير كافية في العطاء للإنسانية، بل لابد من الاخلاص فيها، ومن هنا تأتي وظيفة العبادات، فهي ((التي تقوم بدور التعميق لذلك الشعور، لأنّها تعبير عملي وتطبيقي لغريزة الإيمان، وبها تنمو هذه الغريزة وتترسخ في حياة الإنسان، ونلاحظ أنّ العبادات الرشيدة بوصفها تعبيراً عملياً عن الارتباط بالمطلق يندمج فيها عملياً الإثبات والرفض معاً، فهي تأكيد مستمر من الإنسان على الارتباط بالله (تعالى)، وعلى رفض أي مطلق آخر من المطْلقات المصطنعة، فالمصلي حين يبدأ صلاته بـ(الله أكبر) يؤكد هذا الرفض. وحين يقيِّم في كل صلاة نبيه بأنّه عبده ورسوله يؤكد هذا الرفض، وحين يمسك عن الطيبات ويصوم حتى عن ضرورات الحياة من أجل الله متحدياً الشهوات وسلطانها يؤكد هذا الرفض))[36].

والجانب العملي من الارتباط بالمطلق يتمثل بالعبادات المختلفة التي يفرضها المطلق على النسبي كي يستمر الارتباط ويتصاعد بطريقة مستمرة ودائمة، ولولا الجانب العملي من الارتباط بالمطلق لتضاءل هذا الارتباط وأصبح غير فعال في دفع الإنسان إلى التكاملات والرقي[37].

وأوضح (الشهيد الصدر) ضرورة العبادات في تقدم الحياة الإنسانية، فهذه العبادات هي ((ضرورة ثابتة في حياة الإنسان ومسيرته الحضارية، إذ لا مسيرة بدون مطلق تنشد إليه وتستمد منه مثلها، ولا مطلق يستطيع أن يستوعب المسيرة على امتدادها المطلق الحق سبحانه. وما سواه من مطلْقات مصطنعة يشكل حتماً بصورة وأخرى عائقاً عن نمو المسيرة، فالارتباط بالمطلق الحق إذن حاجة ثابتة، ورفض غيره من المطْلقات المصطنعة بوصفها حاجة ثابتة أيضاً، ولا ارتباط بالمطلق الحق بدون تعبير عملي عن هذا الارتباط يؤكده ويرسخه باستمرار، وهذا التعبير العملي هو العبادة، العبادة إذن حاجة ثابتة))[38]، ويقرر الباحث أنّ هذه العبارة توضح أنّ العبادة حاجة ثابتة للإنسان وليست حاجة ثابتة لله تعالى علوّاً كبيرًا عن الحاجة إلى العبادة، والعبادة المقصودة هنا هي مطلق العبادة وليس أحد أقسامها كالعبادة التي تتعلق بعلاقة الإنسان بربه الصلاة والصيام أو العبادة التي تتعلق بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان كالخمس والزكاة.

ومادامت العبادة هي من يقوي صلة الإنسان بالمطلق وهي الطريق إليه، فيكون حكم الإنسان الذي لا يعبد الله تعالى كحكم من لا عمل له، فقيمة عمل الإنسان تحددها دوافع العمل وليس نتائج العمل، فكلما كانت نية الإنسان خالصة في عمله لله تعالى، كلما كان العمل قيمًا، فلا قيمة لاكتشاف آلة علاج مرض مستعصي ما لم تكن نية الاكتشاف خالصة لله تعالى، والقيمة هنا هي قيمة تشريعية، وليست وضعية، فربما تكون القيمة الوضعية متحققة في هذا العمل من دون القيمة التشريعية، فالإنسان حين يريد التوصل إلى كمالاته عليه أن يرتبط بالمطلق الحقيقي لا بالمطلق المزيف الذي يعيق حركة التقدم التي يريدها الإنسان، وكي يقوي الإنسان صلته بالمطلق ويجعلها مستمرة لابد من أن يعبد هذا المطلق بالعبادات التي فرضها عليه[39].

وعليه يرى الباحث أنّ (الشهيد الصدر) يذهب إلى أنّ الارتباط بالمطلق يُعد الأساس الأخلاقي الأول لتكامل الفرد على كافة المستويات.

المبحث الثاني

الموضوعية في القصد وتجاوز الذات عند الشهيد الصدر

قسَّم (الشهيد الصدر) المصالح الإنسانية على نوعين رئيسين، ففي ((كل مرحلة من مراحل الحضارة الإنسانية، وفي كل فترة من حياة الإنسان يواجه الناس مصالح كثيرة يحتاج تحقيقها إلى عمل وسعي بدرجة وأخرى، ومهما اختلفت نوعية هذه المصالح وطريقة تحقيقها من عصر إلى عصر ومن فترة إلى أخرى فهي دائماً بالإمكان تقسيمها إلى نوعين من المصالح: أحدهما مصالح تعود مكاسبها وإيجابياتها المادية إلى نفس الفرد الذي يتوقف تحقيق تلك المصالح على عمله وسعيه، والآخر مصالح تعود مكاسبها إلى غير العامل المباشر، أو إلى الجماعة الذين ينتسب إليهم هذا العامل، ويدخل في نطاق النوع الثاني كل ألوان العمل التي تنشد هدفاً أكبر من وجود العامل نفسه، فإنّ كل هدف كبير لا يمكن عادة أن يتحقق إلاّ عن طريق تظافر جهود وأعمال على مدى طويل))[40].

وكلما تجرد العمل عن المنافع الفردية كانت غايته أخلاقية عامة، في حين أنّ العمل الذي يمتلك الصفة الفردية أو الذاتية يكون خالياً من الغايات الأخلاقية التي تتسم بأنّها أكبر وأوسع من الغيات الفردية الذاتية[41].

ويرى الباحث أهمية الدافع للعمل في هذا القصد، فالدافع هو الذي يحدِّد العمل إذا كان ذاتياً أو جماعياً من جهة المصالح، ((والنوع الأول من المصالح يضمن الدافع الذاتي لدى الفرد- في الغالب- توفيره والعمل في سبيله، فما دام العامل هو الذي يقطف ثمار المصلحة وينعم بها مباشرة فمن الطبيعي أن يتواجد لديه القصد إليها والدافع للعمل من أجلها، وأما النوع الثاني من المصالح فلا يكفي الدافع الشخصي لضمان تلك المصالح، لأنّ المصالح هنا لا تخص الفرد العامل، وكثيراً ما تكون نسبة ما يصيبه من جهد وعناء أكبر كثيراً من نسبة ما يصيبه من تلك المصالح الكبيرة، ومن هنا كان الإنسان بحاجة إلى تربية على الموضوعية في القصد وتجاوز للذات في الدوافع، أي على أن يعمل من أجل الجماعة))[42].

وإذا لم يكن الإنسان على استعداد تام للتضحية من أجل الآخرين فلا يمكن أن تتحقق المصالح ذات المنفعة العامة، وفي النهاية سيصاب الإنسان بالانتكاس على المدى البعيد، ربما هو يربح الآن حين يحجم عن التضحية من أجل الآخرين، إلاّ أنّه سيصاب بالتسافل لأنّ المصالح التي حُرِم المجتمع منها بسبب أنانيته سوف يُحرَم منها هو أيضاً، لأنّه فرد من أفراد المجتمع المحروم، وأما ما حصل عليه من ربح ذاتي فإنّه مهدَّد بالزوال حين يهدَّد المجتمع الذي ينتمي إليه[43].

ويرى الباحث أنّ (الشهيد الصدر) التفت إلى أهمية إعداد الفرد عبر التأريخ، لأنّ إعداد الفرد من أجل التضحية في سبيل الآخرين مهم للإنسان على مر التأريخ، فهذه ((التربية ضرورية لإنسان عصر الذرة والكهرباء، كما هي ضرورية للإنسان الذي كان يحارب بالسيف ويسافر على البعير على السواء، لأنهما معاً يواجهان هموم البناء والأهداف الكبيرة، والمواقف التي تتطلب تناسب الذات والعمل من أجل الآخرين، وبذر البذور التي قد لا يشهد الباذر ثمارها. فلابد إذن من تربية كل فرد على أن يؤدي قسطاً من جهده وعمله- لا من أجل ذاته ومصالحه المادية الخاصة- ليكون قادراً على العطاء، وعلى الإيثار وعلى القصد الموضوعي النزيه))[44].

والحاجة إلى النصح والإرشاد مهمة للإنسان مهما توصل إليه من معالم الحضارة، والعوائق التي أخرت تقدم الإنسان- سابقاً- هي نفسها ربما تعود وتعيق تقدمه في عصر التكنولوجيا، وحب الذات أوضح مثال على هذه العوائق، فهو موجود على مر التأريخ، ولابد من العملية الإرشادية للتغلب عليه[45].

وهنا تأتي وظيفة العبادة في العملية الإرشادية هذه، خاصة الصلاة والصيام، فالصلاة سواء أكانت واجبة أو مستحبة تكون وظيفتها تربية الإنسان على إدامة الاخلاص للخالق، بوصفها أعمال عبادية يومية في ضوء توقيتات متتالية، وأما الصيام سواء كان واجباً أو مستحبًا، فوظيفته تربية النفس على مجابهة ملذاتها، بوصفه عملاً عباديًا لا يتكرر إلاّ في أيام معدودات من السنة، فالعبادات ((تقوم بدور كبير في هذه التربية الضرورية، لأنها... أعمال يقوم بها الإنسان من أجل الله (سبحانه وتعالى)، ولا تصح إذا أداها العابد من أجل مصالحة الخاصة، ولا تسوغ إذا استهدف من ورائها مجداً شخصياً وثناءً اجتماعياً وتكريساً لذاته في محيطه وبيئته، بل تصبح عملاً محرماً يُعاقب عليه هذا العابد، كل ذلك من أجل أن يجرب الإنسان من خلال العبادة القصد الموضوعي، بكل ما في القصد الموضوعي من نزاهة وإخلاص وإحساس بالمسؤولية، فيأتي العابد بعبادته من أجل الله (سبحانه) وفي سبيله بإخلاص وصدق))[46].

والإخلاص في العبادة من قبل الإنسان تجاه خالقه، الذي فرض عليه هذه العبادة، من أهم وسائل العملية الإرشادية لنكران الذات، بل أنّ الإنسان يحاسَب إذا لم يكن مخلصاً في عباداته حين يدخِل المنافع الشخصية مهما كان نوعها أو يدخِل الرياء الاجتماعي، وما دام الأمر هكذا، فإنّ هذا الإنسان سيكون مستعداً- بوصفه عابداً لله (تعالى)- للتضحية من أجل المصالح العامة التي ربما لا يُفيد منها مرحلياً[47].

ووضح (الشهيد الصدر) الكيفية التي يكون العمل الفردي بها في سبيل المجتمع، إذ أنّ ((سبيل الله هو التعبير التجريدي عن السبيل لخدمة الإنسان، لأنّ كل عمل من أجل الله فإنما هو من أجل عباد الله، لأنّ الله هو الغني عن عباده، ولما كان الإله الحق المطلق فوق أي حد وتخصيص لا قرابة له لفئة ولا تحيز له إلى جهة كان سبيله دائماً يعادل من الوجهة العملية سبيل الإنسانية جمعاء، فالعمل في سبيل الله ومن أجل الله هو العمل من أجل الناس ولخير الناس جميعاً، وتدريب نفسي وروحي مستمر على ذلك))[48].

والدين يطلب منا الإخلاص في العبادات والأعمال، لأنّ الإخلاص ينتهي إلى فائدة المجتمع وإشراكه في جميع المنافع التي يحصل عليها العبد المخلص، فمثلاً إذا أخلص العبد في فريضة دفع الزكاة، فإنّ موارد هذه الفريضة العبادية ستعم أفراد المجتمع من الناحية الاقتصادية، وكذلك فريضة الجهاد العبادية، فإذا أخلص العبد فيها وضحى بأعز ما يمتلك، فإنّ هذه التضحية ستعود بالأمان على كل المجتمع[49].

والإخلاص لله (عز وجل) هو إخلاص للمجتمع على وفق رؤية (الشهيد الصدر)، فكلما جاء سبيل الله في الشريعة كان المقصود به سبيل الناس بصرف النظر عن دياناتهم أو قومياتهم أو انتماءاتهم أو بلدانهم، وقد جعل القرآن الكريم سبيل الله أحد مصارف الزكاة، وأراد به الإنفاق لخير الإنسانية، وحث على القتال في سبيل الإنسان المستضعف، وسماه قتالاً في سبيل الله[50].

والانتصار للمظلومين وأخذ الحق لهم من ظالميهم لا يصل إليه الإنسان إلاّ إذا أنكر ذاته في سبيل مصلحة أبناء جنسه، والإنسان المضحي في سبيل مجتمعه هو العبد المريد رضا الله (عز وجل) الذي هو أوجب عليه من رضا ذاته[51].

ونحن إذا عرفنا أنّ الإخلاص لله (تعالى) في العبادة يخلص إلى خدمة المجتمع لابد من أن نعرف ((أنّ العبادة تتطلب جهوداً مختلفة من الإنسان، فأحياناً تفرض عليه جهداً جسدياً فحسْب كما في الصلاة، وأحياناً جهداً نفسياً كما في الصيام، وثالثة جهداً غالياً على مستوى التضحية بالنفس أو المخاطرة بها كما في الجهاد، إذا عرفنا ذلك استطعنا أن نستنتج عمق وسعة التدريب الروحي والنفسي الذي يمارسه الإنسان من خلال العبادات المتنوعة: على القصد الموضوعي، وعلى البذل والعطاء، وعلى العمل من أجل هدف أكبر في كل الحقول المختلفة للجهد البشري))[52].

والإخلاص لا يأتي ببساطة إذ يحتاج إلى تضحية جسدية ونفسية وروحية، وإذا توصل الفرد إلى هذا المستوى من الاستعداد للتضحية، فإنه سيكون مستعداً لتجاوز ذاته التي تجره إلى الأنا[53].

ويذهب الباحث إلى أنّ على هذا الأساس يوجد لدينا نوعان من الأفراد هما الفرد الذي تكون تضحيته على أساس الإخلاص لسبيل الله، والفرد الذي تكون تضحيته على أساس الخضوع للذات والأنا، وهذا التقسيم للأفراد هو بلحاظ الإخلاص وعدمه، إذ توجد تقسيمات كثيرة للأفراد، وهذا التقسيم هو واحد منها وليس حصراً لها، فالإخلاص وعدمه هو الدليل على هذا التقسيم، إذ قال (الشهيد الصدر): إننا ((نجد الفرق الشاسع بين إنسان نشأ على بذل الجهد من أجل الله وتربى على أن يعمل بدون انتظار التعويض على ساحة العمل، وبين إنسان نشأ على أن يقيس العمل بمدى ما يحققه من مصلحة، ويقومه على أساس ما يعود عليه من منفعة، ولا يفهم من هذا القياس والتقويم إلاّ لغة الأرقام وأسعار السوق، فإنّ شخصاً من هذا القبيل لن يكون في الأغلب إلاّ تاجراً في ممارساته الاجتماعية مهما كان ميدانها ونوعها))[54].

والإنسان الذي يبني حياته على أساس الربح والخسارة تكون العلاقة معه خسارة بطبعة الحال، لأنّك مهما بذلت معه من جهد فلن ينفع، إذ ستأتي اللحظة التي سيتخلى فيها عنك حين تحتاج إليه أو حين يحتاج إليك ولا تستطيع أن تلبي طلبه أو ينتهي وقت الحاجة إليك، ومثل هذا الإنسان سيكون تعامله مع خالقه على أساس الربح والخسارة أيضًا، إذ لا يكون مخلصاً لله (تعالى)، فإنه يحمد الله (عز وجل) إذا كان رابحاً، ويجحد نعمته إذا كان خاسراً[55].

ويرى الباحث أنّ (الشهيد الصدر) أوقف أهمية العمل على أساس دواعه، فالإسلام حين أراد تربية الفرد على تجاوز الذات ((ربط بين قيمة العمل ودوافعه، وفصلها عن نتائجه، فليست قيمة العمل في الإسلام بما يحققه من نتائج ومكاسب وخير للعامل أو للناس أجمعين، بل بما ينشأ العمل عنه من دوافع ومدى نظافتها وموضوعيتها وتجاوزها الذات، فمن يتوصل إلى اكتشاف دواء مرض خطير وينقذ بذلك الملايين من المرضى لا تقدر قيمة هذا العمل عند الله (سبحانه وتعالى) بحجم نتائجه وعدد من أنقذهم من الموت، بل بالأحاسيس والمشاعر والرغبات التي شكلت لدى ذلك المكتشف الدافع إلى بذل الجهد من أجل ذلك الاكتشاف، فإن كان لم يعمل ولم يبذل جهده إلاّ من أجل أن يحصل على امتياز يتيح له أن يبيعه ويربح الملايين فعمله هذا يساوي في التقويم الرباني أي عمل تجاري بحت، لأنّ المنطق الذاتي للدوافع الشخصية كما قد يدفعه إلى اكتشاف دواء مرض خطير يدفعه أيضاً بنفس الدرجة إلى اكتشاف وسائل الدمار إذا وجد سوقاً تشتري منه هذه الوسائل. وإنما يعتبر العمل فاضلاً ونبيلاً إذا تجاوزت دوافعه الذات وكان في سبيل الله، وفي سبيل عباد الله، وبقدر ما يتجاوز الذات ويدخل سبيل الله وعباده في تكوينه يسمو العمل وترتفع قيمته))[56].

وعلى هذا الأساس تكون غايات الأعمال هي الحد الفاصل بين الإخلاص والرياء، والعمل مهما كانت نتائجه، فإنّ قيمته في نظر الإسلام ترتبط بدوافعه التي تخلص إليه، حتى على مستوى الجهاد وتضحية الفرد بنفسه يكون مرتبطاً بنية الفرد[57].

وعليه يرى الباحث أنّ الموضوعية في القصد وتجاوز الذات يعده (الشهيد الصدر) الأساس الأخلاقي الثاني لتكامل الفرد.

المبحث الثالث

الشعور الداخلي بالمسؤولية عند الشهيد الصدر

إنّ أية دولة في العالم تكون دولة مستقرة إذا كان نظامها قائماً على أساس التوازن والالتزام بالحقوق والواجبات يقرها قانون تلك الدولة، و((إذا لاحظنا الإنسانية في أي فترة من تأريخها نجد أنّها تتبع نظاماً معيناً في حياتها، وطريقة محددة في توزيع الحقوق والواجبات بين الناس، وأنّها بقدر ما يتوفر لديها من ضمانات لالتزام الأفراد بهذا النظام وتطبيقه تكون أقرب إلى الاستقرار وتحقيق الأهداف العامة المتوخاة من ذلك النظام، وهذه حقيقة تصدق على المستقبل والماضي على السواء، لأنّها من الحقائق الثابتة في المسيرة الحضارية للإنسان على مداها الطويل))[58].

وعليه لا يكون المجتمع أو الفرد متقدماً أو متطوراً إذا حدث فيه خلل أو محاباة في قضية الحقوق والواجبات، لأنّ هذا الخلل سيولد الظلم وحينها لا يكون التقدم مضموناً في مجتمع فيه ظالمون ومظلومون، فالظالمون يحاولون الاستمرار في سطوتهم، في حين يحاول المظلومون الارتقاء بمستواهم مع قلة الحيلة، وإذا كان المجتمع بهذه الصورة فمن الطبيعي أن يكون مفككاً ومتخلفاً[59].

ويرى الباحث أنّ (الشهيد الصدر) قسّم الضمانات على أساس الموضوعية والذاتية، فمنها ((ما هو موضوعي، كالعقوبات التي تضعها الجماعة تأديباً للفرد الذي يتجاوز حدوده، ومنها ما هو ذاتي، وهو الشعور الداخلي للإنسان بالمسؤولية تجاه التزاماته الاجتماعية وما تفرضه الجماعة عليه من واجبات، وتحدد له من حقوق، وعلى الرغم من أنّ الضمانات الموضوعية لها دور كبير في السيطرة على سلوك الأفراد وضبطه، فإنها لا تكفي في أحايين كثيرة بمفردها ما لم يكن إلى جانبها ضمان ذاتي ينبثق عن الشعور الداخلي للإنسان بالمسؤولية، لأنّ الرقابة الموضوعية للفرد مهما كانت دقيقة وشاملة لا يمكن عادة أن تضمن الإحاطة بكل شيء واستيعاب كل واقعة))[60].

وعليه تكون الأهمية لكل من الضمانات الموضوعية الذاتية، إلاّ أنّ الأهمية الكبرى تكون للضمانات الذاتية، لانّ الذات إن لم تكن على مستوى من المسؤولية ولم تحاسِب نفسها، فلا قيمة للضمانات الذاتية، إذ تكون في هذه الحال غير فعالة لرفع مستوى التكامل لدى الفرد[61].

ويرى الباحث أنّ (الشهيد الصدر) اشترط الإيمان في الضمانات الذاتية، فالضمانات الذاتية كي تطبَّق في الواقع تحتاج إلى إيمانها ((برقابة لا يعزب عن علمها مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وإلى مران عملي ينمو من خلاله هذا الشعور ويترسخ بموجبه الإحساس بتلك الرقابة الشاملة، والرقابة التي لا يعزب عن علمها مثقال ذرة تتواجد في حياة الإنسان نتيجة لارتباطه بالمطلق الحق العليم القدير الذي أحاط علمه بكل شيء، فإنّ هذا الارتباط بنفسه يوفر للإنسان هذه الرقابة، ويهيئ بذلك إمكانية نشوء الشعور الداخلي بالمسؤولية))[62].

وتكون علاقة النسبي بالمطلق مضاعفة، إذ تضاف إلى عبادته لله (تعالى) قضية الإيمان بأنّ الله (عز وجل) عليم يراقب كل عمل ونية كل فعل ودافع، ولولا ارتباط الفرد بخالقه لم توجد هذه العلاقة القوية بينهما، وفي النهاية فإنّ تطبيق هذه الرقابة على الواقع العملي يزيد من ارتباط الإنسان بربه، وتزداد بذلك كمالات الفرد التي تخلص إلى زيادة رقي المجتمع الذي يكون ذلك الفرد جزءاً منه[63].

والعبادات هي التي تقوي شعور الفرد برقابة المطلق له، ((لأنّ العبادة واجب غيبي، ونقصد بكونها واجباً غيبياً: أنّ ضبطها بالرقابة من خارج أمر مستحيل، فلا يمكن أن تنجح أي إجراءات خارجية لغرض الإتيان بها، لأنها متقومة بالقصد النفسي والربط الروحي للعمل بالله. وهذا أمر لا يدخل في حساب الرقابة الموضوعية من خارج، ولا يمكن لأي إجراء قانوني أن يكفل تحقيقه، وإنما الرقابة الوحيدة الممكنة في هذا المجال هي الرقابة الناتجة عن الارتباط بالمطلق بالغيب، الذي لا يعزب عن علمه شيء، والضمان الوحيد الممكن عن هذا الصعيد هو الشعور الداخلي بالمسؤولية))[64].

ورب الأسرة يتعب ويشقى لتوفير السعادة لأبنائه وأفراد عائلته، والدافع هو الشعور بالمسؤولية تجاه هذه العائلة، ولولا هذا الشعور الداخلي لتخلى رب الأسرة عن كثير من الواجبات التي يتصدى لتحملها، وعلى هذا الأساس نعرف الوظيفة المهمة التي يخلص إليها الشعور بالمسؤولية من قبل الفرد تجاه ربه ومجتمعه[65].

ويذهب الباحث إلى أنّ (الشهيد الصدر) فرّق بين الواجب الاجتماعي والشرعي، ((وهذا يعني أنّ الإنسان الذي يمارس العبادة يباشر واجباً يختلف عن أي واجب أو مشروع اجتماعي آخر، فحين يقترض ويوفي الدين، أو حين يعقد صفقة وينفذ شروطاً، وحين يستعير مالاً من غيره ثم يعيده إليه يباشر بذلك واجباً يدخل في نطاق الرقابة الاجتماعية رصده، وبهذا قد يدخل بشكل آخر التحسب لرد الفعل الاجتماعي على التخلف عن أدائه في اتخاذ الإنسان قراراً بالقيام به، وأما الواجب العبادي الغيبي الذي لا يعلم مدى مدلوله النفسي إلاّ الله (سبحانه وتعالى)، فهو نتيجة للشعور الداخلي بالمسؤولية، ومن خلال الممارسات العبادية ينمو هذا الشعور الداخلي ويعتاد على التصرف بموجبه. وبهذا الشعور يوجد المواطن الصالح، إذ لا يكفي في المواطنة الصالحة أن لا يتخلف الإنسان عن أداء حقوق الآخرين المشروعة، خوفاً من رد الفعل الاجتماعي على هذا التخلف، وإنما تتحقق المواطنة الصالحة بأن لا يتخلف الإنسان عن ذلك بدافع من الشعور الداخلي بالمسؤولية))[66].

وعلى هذا الأساس تكون الضمانات الذاتية أدق وأفضل وأعلى فعالية من الضمانات الموضوعية وإن كانت لها وظيفة مهمة على حد سواء إلاّ أنّ الفرد يصبح أكثر تكاملاً إذا كان الدافع له في أعماله الصالحة هو الشعور الداخلي بالمسؤولية[67].

وفسّر (الشهيد الصدر) سبب تحقق المواطنة الصالحة بالاعتماد على الشعور الداخلي بالمسؤولية بقوله: ((لأنّ الخوف من رد الفعل الاجتماعي على التخلف لو كان وحده هو الأساس لالتزامات المواطنة الصالحة في المجتمع الصالح لأمكن التهرب من تلك الواجبات في حالات كثيرة حينما يكون بإمكان الفرد أن يخفي تخلفه، أو يفسره تفسيراً كاذباً، أو يحمي نفسه من رد الفعل الاجتماعي بشكل وآخر، فلا يوجد في هذه الحالات ضمان سوى الشعور الداخلي بالمسؤولية))[68].

ومن هذا يظهر أنّ رقابة الشعور الداخلي بالمسؤولية تكون أجدى وأصعب تحققاً من رقابه القوانين والأعراف الاجتماعية، لأنها تحتاج إلى جهد كبير وتضحيات غالية كي تتحقق بوصفها واقعاً عملياً في حياة الفرد[69].

وعليه يذهب الباحث إلى أنّ الشعور الداخلي بالمسؤولية هو الأساس الثالث لتكامل الفرد في فلسفة (الشهيد الصدر).

نتائج البحث

إنّ من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في هذه الدراسة هي:-

1- توجد في فلسفة (الشهيد الصدر) ثلاثة أسس لتحقيق التكامل لدى الفرد ثم لدى المجتمع بوصفه مجموعة من الأفراد، وهذه الأسس هي الارتباط بالمطلق، والموضوعية في القصد وتجاوز الذات، والشعور الداخلي بالمسؤولية.
2- إن كل أساس من الأسس الأخلاقية عند (الشهيد الصدر) هو معزز للآخر، فالارتباط بالمطلق يزيد من الموضوعية لدى الفرد، والموضوعية في القصد تزيد من الشعور الداخلي للفرد بالمسؤولية.
3- للعبادات وظيفة مهمة جداً في تفعيل وإنضاج واستمرار هذه الأسس، فالعبادة تشكل لدى (الشهيد الصدر) الجانب العملي لارتباط النسبي بالمطلق، ولولا وظيفة العبادة لتضاءل هذا الارتباط، ومن ثم انتهى أهم أساس أخلاقي للتكامل.
4- إنّ اعتماد الأسس الأخلاقية بوصفها ميزاناً لقياس الأعمال يجعل العمل خيراً بدوافعه التي تدعو إليه لا بنتائجه التي يحققها.
5- إنّ فعالية ونتائج الأسس الأخلاقية أكبر من فعالية القوانين والأعراف الاجتماعية في تحقيق الفرد الصالح ومن ثم تحقيق المجتمع الصالح، لأنّ هذه الأسس تمثل الرقيب الذاتي والدائم الذي يعايش الفرد في السر والعلن.

وفي نهاية هذه الخاتمة يوصي الباحث بإمكان دراسة البحث الأخلاقي بصورة شاملة لدى (الشهيد الصدر)، لأنّنا اقتصرنا في هذا البحث على دراسة الأسس الأخلاقية للتكامل حسْب عند (الشهيد الصدر)، من دون التوسع في مباحث الأخلاق كلها.

الهوامش

1) سورة النساء، الآية 75.
2) يُنظر: الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، تعليق: كاظم الحائري، طبع: مؤسسة الفقه، نشر: اسماعيليان، إيران، ط1، 1423هـ ، ص798.
3) يُنظر: شبر، عبد الله، الأخلاق، تدقيق: جواد شبر، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1991م، ص35-38.
4) يُنظر: الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص798.
5) يُنظر، شبر، عبد الله، الأخلاق، ص38.
6) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص798-799.
7) يُنظر: الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب، كتاب الذريعة إلى أحكام الشريعة، تحقيق ودراسة: أ.د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2007م، ص69-70.
8) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص799.
9) يُنظر: الأميني، إبراهيم، تزكية النفس وتهذيبها، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 2000م، ص148-152.
10) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص799.
11) يُنظر: النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، ج1، تقديم: محمد رضا المظفر، تعليق: محمد كلانتر، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط7، 2002م، ص74-75.
12) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص799-800.
13) يُنظر: الأميني، إبراهيم، تزكية النفس وتهذيبها، ص145.
14) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص800.
15) يُنظر: شبر، عبد الله، الأخلاق، ص307.
16) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص801.
17) يُنظر: اللاري، مجتبى الموسوي، رسالة الأخلاق، إعداد: لجنة التعريب والتحقيق في الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1989م، ص16.
18) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص801.

19) يُنظر: مغنية، محمد جواد، فلسفة الأخلاق في الإسلام، دار التيار الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط5، 1992م، ص17-18.
20) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص801.
21) يُنظر: اللاري، مجتبى الموسوي، رسالة الأخلاق، ص352-355.
22) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص802.
23) يُنظر: مغنية، محمد جواد، فلسفة الأخلاق في الإسلام، ص159-160.
24) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص803.
25) يُنظر: الفلسفي، محمد تقي، الأخلاق من منظور التعايش والقيم الإنسانية، مج(1)، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ،1992م، ص127-128.
26) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص803.
27) يُنظر: دستغيب، عبد الحسين، القلب السليم، (رسالة الياقوت السليم في بيعة العاشقين)، ترجمة: حسين كوراني، نشر: مؤسسة دار الكتاب الجزائري، قم، ط3، 1424هـ، ص5(المقدمة).
28) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص804.
29) يُنظر: العلوي، عادل، رسالات إسلامية في الأخلاق، نشر: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ط2، 2003م، ص52.
30) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص804-805.
31) يُنظر: اليزدي، محمد تقي، السير على درب الحبيب، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005م ، ص188-189.
32) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص805.
33) يُنظر: الهاشمي، قاسم، جهاد النفس في مراحله الخمس، إصدار: مؤسسة الغري للمعارف الإسلامية، مطبعة: نكارش، نشر: دليل ما، قم، ط1، 1426هـ، ص21-22.
34) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص805.
35) يُنظر: المدرسي، محمد تقي، الأخلاق- عنوان الإيمان ومنطق التقدم، نشر: دار محبي الحسين، طهران، ط3، 2004م، ص16.
36) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص805-806.
37) يُنظر: مظاهري، حسين، جهاد النفس، دار المحجة البيضاء، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993م، ص250-254.
38) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص806.
39) يُنظر: مظاهري، حسين، جهاد النفس، ص254-255.
40) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص806-807.
41) يُنظر: قائمي، د. علي، الأخلاق وآداب التعامل في الإسلام، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001م، 26-27.
42) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص807.
43) يُنظر، العطار، مهدي، محاضرات أخلاقية، مراجعة وتقديم: محمد سليمان، نشر: المركز الثقافي للنشر والتوزيع، بيروت، 2003م، ص223-230.
44) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص807-808.
45) يُنظر: شبر، عبد الله، السلوك إلى الله، توثيق وتحقيق وتعليق: سامي الغريري، مطبعة: ستار، نشر: دار الكتاب الإسلامي، (من دون مكان)، ط1، 2005م، ص87-88.
46) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص808.
47) يُنظر: المختاري، علي، الأخلاق في الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعة، ج3، سلسلة الأحاديث المشتركة (7)، إشراف: محمد علي التسخيري، تقويم النص: شوقي محمد، مطبعة: نكار، طهران، ط1، 2006م ، ص207-213.
48) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص808.
49) يُنظر، الحائري، كاظم، تزكية النفس، مطبعة: شريعت، نشر: دار التفسير، قم، ط2، 2001م، ص287-391.
50) يُنظر: الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص808.
51) يُنظر: القائمي، د. علي، الأخلاق وآداب التعامل في الإسلام، ص18-20.
52) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص809.
53) يُنظر، اللاوي، د. محمد عبد، فلسفة الصدر، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ط2، 2001م، ص414-415.
54) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص809.
55) يُنظر، الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، (تراث الشهيد الصدر)، إعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، مطبعة: شريعت، نشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ط2، 1424هـ، ص194-195.

56) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص809-810.
57) يُنظرن الكاشاني، الفيض، المهلكات الكبرى، مطبعة: ظهور، نشر: ذوي القربى، قم، ط1، 1426هـ، ص402-403.
58) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص810.
59) يُنظر: مقلد، د. علي، الأخلاق والسياسة والاجتماع عند نصير الدين الطوسي، منشورات دار الاستقلال للثقافة والعلوم القانونية، بيروت، ط1، 2001م، ص84.
60) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص810-811.
61) يُنظر: مظاهري، حسين، جهاد النفس، ص113-114.
62) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص811.
63) يُنظر: الهاشمي، قاسم، جهاد النفس النفس في مراحله الخمس، ص16-17.
64) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص811.
65) يُنظر: اللاري، محمد عبد، فلسفة الصدر، ص125.
66) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص811-812.
67) يُنظر: الفلسفي، محمد تقي، الأخلاق من منظور التعايش والقيم الإنسانية، ص93-94.
68) الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، ص812.
69) يُنظر: الفلسفي، محمد تقي، الأخلاق من منظور التعايش والقيم الإنسانية، ص94.

مصادر ومراجع البحث

القرآن الكريم

1- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب، كتاب الذريعة إلى أحكام الشريعة، تحقيق ودراسة: أ.د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2007م.
2- الأميني، إبراهيم، تزكية النفس وتهذيبها، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 2000م.
3- الحائري، كاظم الحسيني، تزكية النفس، مطبعة: شريعت، نشر: دار التفسير، قم، ط2، 2001م.
4- دستغيب، عبد الحسين، القلب السليم، (رسالة الياقوت السليم في بيعة العاشقين)، ترجمة: حسين كوراني، نشر: مؤسسة دار الكتاب الجزائري، قم، ط3، 1424هـ.
5- شبر، عبد الله، الأخلاق، تدقيق: جواد شبر، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1991م.
6- شبر، عبد الله، السلوك إلى الله، توثيق وتحقيق وتعليق: سامي الغريري، مطبعة: ستار، نشر: دار الكتاب الإسلامي، (من دون مكان)، ط1، 2005م.
7- الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ج1، تعليق: كاظم الحائري، طبع: مؤسسة الفقه، نشر: اسماعيليان، إيران، ط1، 1423هـ.
8- الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، (تراث الشهيد الصدر)، إعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، مطبعة: شريعت، نشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ط2، 1424هـ.
9- العطار، مهدي، محاضرات أخلاقية، مراجعة وتقديم: محمد سليمان، نشر: المركز الثقافي للنشر والتوزيع، بيروت، 2003م.
10- العلوي، عادل، رسالات إسلامية في الأخلاق، نشر: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ط2، 2003م.
11- الفلسفي، محمد تقي، الأخلاق من منظور التعايش والقيم الإنسانية، مج(1)، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ،1992م.
12- قائمي، د. علي، الأخلاق وآداب التعامل في الإسلام، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001م.
13- الكاشاني، الفيض، المهلكات الكبرى، مطبعة: ظهور، نشر: ذوي القربى، قم، ط1، 1426هـ.
14- اللاري، مجتبى الموسوي، رسالة الأخلاق، إعداد: لجنة التعريب والتحقيق في الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1989م.
15- اللاوي، د. محمد عبد، فلسفة الصدر، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ط2، 2001م.
16- المختاري، علي، الأخلاق في الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعة، ج3، سلسلة الأحاديث المشتركة (7)، إشراف: محمد علي التسخيري، تقويم النص: شوقي محمد، مطبعة: نكار، طهران، ط1، 2006م.
17- المدرسي، محمد تقي، الأخلاق- عنوان الإيمان ومنطق التقدم، نشر: دار محبي الحسين، طهران، ط3، 2004م.
18- مظاهري، حسين، جهاد النفس، دار المحجة البيضاء، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993م.
19- مغنية، محمد جواد، فلسفة الأخلاق في الإسلام، دار التيار الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط5، 1992م.
20- مقلد، د. علي، الأخلاق والسياسة والاجتماع عند نصير الدين الطوسي، منشورات دار الاستقلال للثقافة والعلوم القانونية، بيروت، ط1، 2001م.
21- النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، ج1، تقديم: محمد رضا المظفر، تعليق: محمد كلانتر، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط7، 2002م.
22- الهاشمي، قاسم، جهاد النفس في مراحله الخمس، إصدار: مؤسسة الغري للمعارف الإسلامية، مطبعة: نكارش، نشر: دليل ما، قم، ط1، 1426هـ.
23- اليزدي، محمد تقي، السير على درب الحبيب، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005م.